ألفاظ الجذر (س و ق) ودلالتها في النص القرآني

إعداد

أ. د عادل محمد إبراهيم حسن

أستاذ أصول اللغة

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بكفر الشيخ

جامعة الأزهر

الملخص

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

فما أجمل أن يعيش المسلم مع ألفاظ القرآن الكريم يتأمَّل دلائل الإعجاز فيها، حيث رُسمت حروفها في معاجم العربية للدلالة على معان كثيرة فأطلق المعجم عقالها، ولكن عندما التقطها النصُّ القرآني حدَّد من مفهومها ووضعها في دائرة لا تخرج عنها، وإن خرجت فلأسرار يقتضيها المقام؛ لأن لكل سياق خصوصية ، ولكل مقام مقاله الذي يتناسب معه ، والظروف والملابسات الخاصة بكل نصٍّ هي التي تتحكَّم في تحديد الدلالة وتوجيهها.

وجذور العربية كثيرة، وكلماتها أكثر، وإدراك دلالاتها والإحاطة بها من الاستحالة بمكان، والأمر كذلك مع جذور وكلمات القرآن الكريم من الصعب أن تحيط بكل دقائقها وتفاصيلها، ولكن يحاول الباحث أن يقف على الأبواب لعله يلتمس بعض الدقائق أو يكتشف بعض الأسرار، والمصادر التي تحدثت عن تشابه الألفاظ واختلاف الدلالات على حسب طبيعة كل سياق كثيرة في القرآن الكريم ولغته قديمًا وحديثًا، ومع نظرية السياق والبحث فيها استوقفتني دلالة لفظة **(السياق)** في معاجم اللغة فقرأتها بصورها واشتقاقاتها المختلفة فإذا بها تذهب بي إلى دلالتها في نصِّ القرآن الكريم، فما كان مني إلا أن ذهبت إلى عمل إحصاء لألفاظ هذا الجذر فيه، التي وصلت إلى سبعة عشر مع تكرار لفظة واحدة، ثم تتبع الدلالات الخاصَّة بها في سياقتها المختلفة من خلال الظروف المحيطة بكل نصٍّ سواء من داخل التركيب أو خارجه حتى صارت بحثًا جعلته بعنوان:(**ألفاظ الجذر (س و ق) ودلالتها في النصِّ القرآني)** .

Abstract

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the Prophet Muhammad bin Abdullah peace be upon him and his family and companions.

But after

The most beautiful thing is that the Muslim lives with the words of the Holy Quran, which thinks about the signs of miracles. The characters were drawn in Arabic dictionaries to denote many meanings, so the lexicon started. But when the Quranic text was defined from its concept and placed in a circle that does not come out about him. For each context of privacy, each article has its own article, and the circumstances and circumstances of each text control the direction and direction of the direction.

The roots of the Arabic language are many, their words more, their meanings understood and inaccurate. The same applies to the roots and words of the Holy Quran. It's hard to take every detail and minutes. But the researcher tries to stand at the door. You may search for some minutes or discover some secrets. Similarity of words and differences of indicators According to the nature of each context in the Koran and its language in the old and modern, and with the theory of context and research, stopped the meaning of the word (context) in the dictionaries of the language of its idea with different images and derivatives, if you go to the meaning of the text of the Koran, , Which reached seventeen repetition of one word, and then follow the signs of their context in the different circumstances surrounding each text within the structure or outside until it became a research entitled: (root words(Q and A and its) importance in the text of the Koran) .

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي أنزل قرآنه الكريم ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [1] ﴾، وأرسل نبيَّه محمدًا ﴿ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا [2] ﴾، صلاة وسلامًا عليه وعلى آله وصحبه الكرام، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

فإنَّ الجنَّة تبحث عن ساكنيها من أمَّة محمد – صلى الله عليه وسلم–، وأهل القرآن الذين يقرأون آياته آناء الليل وأطراف النهار، مع تدبُّرها، وفهم أغراضها ومقاصدها، وتوظيفها بما يتفق مع مبادئ الإسلام وأحكامه، لا شكَّ أنهم من المستوطنين فيها، المتنعمين بخيراتها، الواردين أنهارها، على سبيل اليقين في إنجاز ما وعدهم الله به، والإنسان مطالب بإدراك تلك الحقائق التي تعرِّفه بربِّه وتهديه إلى طريق الحقِّ والرشاد، والقرآن الكريم فيه الكثير من الآيات والدلائل الواضحات التي تزيل ما ران على القلب من غشاوة وما ران على العقل من ظلام، ولكن بشرط قراءتها ومحاولة فهمها في ضوء القواعد والضوابط التي تصون الفكر من الشطط وتمنعه من الانحراف والزيغ، عندما يجد الحق ويهتدي إليه يؤمن ويصدق به.

فما أجمل أن يعيش المسلم مع ألفاظ القرآن الكريم يتأمَّل دلائل الإعجاز فيها، حيث رُسمت حروفها في معاجم العربية للدلالة على معان كثيرة فأطلق المعجم عقالها، ولكن عندما التقطها النصُّ القرآني حدَّد من

(١) الأعراف من الآية ٥٢.
(٢) الأحزاب الآية ٤٥،٤٦.

مفهومها ووضعها في دائرة لا تخرج عنها، وإن خرجت فلأسرار يقتضيها المقام؛ لأن لكل سياق خصوصية، ولكل مقام مقاله الذي يتناسب معه ، والظروف والملابسات الخاصة بكل نصٍّ هي التي تتحكَّم في تحديد الدلالة وتوجيهها.

وجذور العربية كثيرة، وكلماتها أكثر، وإدراك دلالاتها والإحاطة بها من الاستحالة بمكان، والأمر كذلك مع جذور وكلمات القرآن الكريم من الصعب أن تحيط بكل دقائقها وتفاصيلها، ولكن يحاول الباحث أن يقف على الأبواب لعله يلتمس بعض الدقائق أو يكتشف بعض الأسرار، والمصادر التي تحدثت عن تشابه الألفاظ واختلاف الدلالات على حسب طبيعة كل سياق كثيرة في القرآن الكريم ولغته قديمًا وحديثًا، ومع نظرية السياق والبحث فيها استوقفتني دلالة لفظة **(السياق)** في معاجم اللغة فقرأتها بصورها واشتقاقاتها المختلفة فإذا بها تذهب بي إلى دلالتها في نصِّ القرآن الكريم، فما كان مني إلا أن ذهبت إلى عمل إحصاء لألفاظ هذا الجذر فيه، التي وصلت إلى سبعة عشر مع تكرار لفظة واحدة، ثم تتبع الدلالات الخاصَّة بها في سياقتها المختلفة من خلال الظروف المحيطة بكل نصٍّ سواء من داخل التركيب أوخارجه حتى صارت بحثًا جعلته بعنوان:

(ألفاظ الجذر (س و ق) ودلالتها في النصِّ القرآني)

ومع ضم الشبيه إلى شبيهه من هذه الألفاظ والنظير إلى نظيره قسَّمته إلى ثمانية مطالب، وذلك بعد **التمهيد الذي تحدثت فيه عن١- دلالة الجذر (س و ق) في المعجم ٢- دلالة (السَّاق) في كتب الوجوه والنظائر.**

- ❖ **المطلب الأول: (السَّاق) بصورة المفرد**
- ❖ **المطلب الثاني: (سَاقَيْهَا) بصورة المثنى**
- ❖ **المطلب الثالث: (السُّوق) و(الأَسْوَاق) بصورة الجمع**
- ❖ **المطلب الرابع: (سُقْناه) بصورة الماضي المبني للمعلوم**
- ❖ **المطلب الخامس: (نَسُوق) بصورة المضارع المبني للمعلوم**
- ❖ **المطلب السادس: (سِيق) و(يُسَاقون) بصورة الماضي والمضارع المبني للمجهول**
- ❖ **المطلب السَّابع : (سائق) بصورة اسم الفاعل**
- ❖ **المطلب الثامن: (المَسَاق) بصورة المصدر.**

الخاتمة: وفيها ذكرت أهم نتائج هذه الدراسة.

وبعد... فاختيار عنوان البحث وتحديد عناصر الكتابة فيه هي الخطوة الأولى في توجيه الفكر إلى تحديد الاتجاهات ورسم المعالم؛ لأنه يستدعي كثيرًا من التأنِّي والتريُّث وقراءة ما يدور حوله بفهم ووعي حتى يدرك الباحث ما يتمنَّاه، وذلك قبل الإمساك بالقلم وتدوين ما يراه مناسبًا من وجهة نظره، وذلك بما يتفق مع أبجديات البحث العلمي، وهذه فكرة أقدمها بشكل موجز حتى يصل آخرها بأولها ونهايتها ببدايتها فتكتمل الصورة ويخرج القارئ منها بفائدة.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود من الآية ٨٨)

التمهيد

١- دلالة الجذر: (س. و. ق) في المعجم:

ذكرت بعض معاجم العربية لهذه الصورة اللفظية عدَّة معان بتصريفاتها المختلفة، وهي كما ذكر الجوهري أن" السَّاق: سَاقُ القَدَمِ، والجَمْعُ سُوقٌ، مِثْلُ أَسَدٍ وأُسْدٍ، وسِيقَانٌ، وأَسْؤُقٌ... وسَاقُ الشَّجَرَةِ: جِذْعُهَا... وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ (القلم من الآية ٤٢)، أي: عن شِدَّةٍ، كما يقال: قَامَتِ الْحَرْبُ على سَاقٍ... وسُوق الحرب: حَومة القتال. وتَسَوَّقَ القَوْمُ: إذا بَاعُوا واشْتَرَوْا... وسَاقَ الْمَاشِيَةَ يَسُوقُهَا سَوْقًا وسِيَاقًا، فهو سَائِقٌ وسَوَّاقٌ، شدَّد للمبالغة...، وسُقْتُ إلى امرأتي صَدَاقَهَا... قال أبو زيد: السَّيِّقُ من السَّحَابِ: الذي تَسُوقُه الرِّيحُ وليس فيه ماء. ويقال: أَسَقْتُكَ إبلًا، أي: أعطيتُك إبلًا تَسُوقُها [(١)]".

وفي المعجم الوسيط: "السَّائق: من يقود السيارة أو القطار ونحوهما جمع ساقة. السَّاق من الحيوان: ما بين الرُّكبة والقدم مؤنثة. وفي التنزيل العزيز: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ (ص من الآية ٣٣) . ومن الشجرة ونحوها: ما بين أصلها إلى متشعَّب فروعها وأغصانها جمع سُوق، وسيقان، وأسوق. وفي التنزيل العزيز: ﴿ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ﴾ (الفتح من الآية ٢٩)... وفي المثل: "كشف عن ساقه" : وهو مثل يضرب في شدَّة الأمر. وفي التنزيل العزيز :﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ

(١) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار: مادة: (س. و. ق)٤/ ١٤٩٨،١٤٩٩- دار العلم للملايين. وينظر: لسان العرب لابن منظور: مادة: (س. و. ق) ٣٠٤/٧:٣٠٦ -دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾...السُّوق: الموضع الذي يُجلب إليه المتاع والسلع للبيع والابتياع تؤنث وتذكر... جمع أسواق[١]".

وقد رد ابن فارس هذه الدلالات المتنوعة إلى أصل دلالي واحد؛ فقال: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيْءِ[٢]. يُقَالُ: سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا، والسَّيِّقَةُ: ما اسْتِيقَ من الدَّوَابِّ. ويُقَالُ سُقْتُ إِلَى امْرَأَتِي صَدَاقَهَا، وأَسَقْتُه. والسُّوقُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذَا؛ لِمَا يُسَاقُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، والْجَمْعُ أَسْوَاقٌ. والسَّاقُ لِلْإِنْسَانِ وغيرِهِ، والجمع سُوقٌ، إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لأَنَّ الْمَاشِي يَنْسَاقُ عَلَيْهَا... وسُوقُ الْحَرْبِ: حَوْمَةُ الْقِتَالِ، وهي مُشْتَقَّةٌ من الباب الأول[٣] ".

٢-دلالة (السَّاق) في كتب الوجوه والنظائر:

ذكرت بعض الكتب الخاصة بالوجوه والنظائر معنى (السَّاق) في الأصل وفي كتاب الله -عزَّ وجلَّ-؛ فقال ابن الجوزي: "الأصل في السَّاق: العضو المعروف، وكل نبات له غصن، فغصنه ساقه. وذكر أهل التفسير أن السَّاق في القرآن على وجهين: -

أحدهما: العضو المعروف، ومنه قوله تعالى في ص:﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ (الآية ٣٣) ، والسُّوق جمع ساق.

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: مادة: (س. و. ق) ٤٦٤،٤٦٥- مكتبة الشروق الدولية- الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. وينظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني: مادة:(س. و. ق) ١/ ٢٤٩- دار المعرفة -لبنان.

(٢) الحَدْو: سَوْق الإبل والغناء لها. تاج اللغة وصحاح العربية (ح. د. و) ٢٣٠٩/٦. وينظر: لسان العرب ١٦٨/١٤.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: مادة: (س. و. ق) ١١٧/٣- دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.

والثاني: الشدَّة، ومنه قوله تعالى في نون: ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ﴾ (الآية:٤٢)، وفي سورة القيامة :﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴾ (الآية: ٢٩)[١]".

إذًا فخلاصة ما قدَّمه أصحاب المعاجم أنهم ذكروا لدلالة هذا الجذر عدَّة وجوه، ولكن تفرَّد ابن فارس واستطاع من خلال فكرة كتابه (مقاييس اللغة) العودة بها إلى أصل دلالي واحد، في حين اقتصر أصحاب الكتب الخاصَّة بالوجوه والنظائر على وجهين، ومع حصر مشتقات هذا الجذر وتتبع دلالته في السياق القرآني وقراءة ما ذكره أهل التفسير يقول البحث كلمته فيعرض لها تفصيلا من خلال شرح كل لفظة وعرضها على مائدة البحث والتحليل، وإجمالا في خاتمته، فما هي الاستعمالات القرآنية من هذا الجذر، وما الدلالات التي تحملها تلك الاستعمالات، وهل يمكن رد تلك الدلالات إلى أصل دلالي واحد؟

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي ٣٤٠- مؤسسة الرسالة- لبنان- بيروت- الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م. وينظر: قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للدامغاني، حققه: عبد العزيز سيد الأهل ٢٥٤،٢٥٣- دار العلم للملايين – الطبعة الرابعة ١٩٨٣م.

المطلب الأول: السَّاق بصورة المفرد:

١، ٢-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴾ (القيامة الآية ٢٩).

٣-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾ (القلم الآية ٤٢).

تلازم الإنسان بصفة مستمرة لحظات الترقُّب والحرص والحذر والخوف والرُّعب والفزع في تلك الحالة التي تنتهي فيها أنفاس الدنيا ويستقبل فيها أنفاس الآخرة، فلا يدري إن كان قد عمَّر في الدنيا سنوات أم أنها مرَّت عليه كطيف من خيال، يستعدُّ للقاء الله -عزَّ وجلَّ- ويودع عالم الدنيا، فالموقف جلل وساعات الانتظار أشقُّ من مواجهة العذاب، فالأجل قد حان والعالم الآخر أصبح واقعًا لا يمكن إنكاره، فمهما عانيت من شدَّة الدنيا وظُلم أهلها فتلك الحالة التي تراها الآن لا يمكن بحال من الأحوال أن تُشابه حالة أخرى، فتأتي كلمات القرآن الكريم تدعوك لمشاهدة هذا الموقف كأنه رأي العين، وتُصوِّر لك هذه الشدَّة أولا عند التفاف السَّاق بالسَّاق.

"وَالْتَفَّتِ ساقه بساقه والتوت عليها عند علز[1] الموت، وعن قتادة: ماتت رجلاه فلا تحملانه، وقد كان عليهما جوالا، وقيل: شدَّة فراق الدنيا بشدَّة إقبال الآخرة ، على أن السَّاق مَثَّل في الشدَّة، وعن سعيد بن

(١) والعَلَز هو: قَلَق وخِفة وهلع يُصيب الإنسان. تاج اللغة وصحاح العربية: مادة (ع. ل. ز) ٨٨٧/٣.

المسيب: هما ساقاه حين تلفان في أكفانه[١]"، "وعن ابن عباس –رضي الله عنه–: هَمَّان : هَمٌّ الولد ، وهَمُّ القدوم على الواحد الصمد[٢]".

وعلى ذلك فالتفاف السَّاق بالسَّاق قد يحمل على معناه الحقيقي، وقد يحمل على طريقة المجاز، فـ"إن حمل على ظاهره ، فالمعنى التفاف ساقي المحتضر بعد موته؛ إذ تلفُّ الأكفان على ساقيه، ويقرن بينهما في ثوب الكفن، فكل ساق منها ملتفة صحبة السَّاق الأخرى، فالتعريف عوض عن المضاف إليه، وهذا نهاية وصف الحالة التي تهيأ بها لمصيره إلى القبر الذي هو أول مراحل الآخرة. ويجوز أن يكون ذلك تمثيلا؛ فإن العرب يستعملون السَّاق مَثَلا في الشدَّة وجدِّ الأمر تمثيلا بساق الساعي أو الناهض لعمل عظيم، يقولون: قامت الحرب على ساق... فمعنى ﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴾ طرأت مصيبة على مصيبة[٣]".

فالله تعالى "يعظ عباده بذكر حال المحتضر عند السياق، وأنه إذا بلغت روحه التراقي، وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر، فحينئذ يشتدُّ الكرب، ويطلب كل وسيلة وسبب، يظن أن يحصل به الشفاء والراحة، ولهذا قال:﴿ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴾(القيامة الآية ٢٧) أي: من يرقيه من الرُّقية؛ لأنهم انقطعت آمالهم من الأسباب العادية، فلم يبق إلا الأسباب الإلهية. ولكن القضاء والقدر، إذا حتم وجاء فلا مردَّ له، ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴾

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ١١٢/٤، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

(٢) البحر المديد لابن عجيبة ٢٨٩/٨، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٣٣/٢٩، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م، وينظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) المحقق: هشام سمير البخاري ٦٦٤/١٩، دار عالم الكتب –الرياض– المملكة العربية السعودية–١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م.

(القيامة الآية ٢٨). ﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴾ أي: اجتمعت الشدائد والتفت، وعظم الأمر وصعب الكرب، وأريد أن تخرج الروح التي ألفت البدن ولم تزل معه، فتساق إلى الله تعالى، حتى يجازيها بأعمالها، ويقررها بفعالها. فهذا الزَّجر الذي ذكره الله يسوق القلوب إلى ما فيه نجاتها، ويزجرها عما فيه هلاكها. ولكن المعاند الذي لا تنفع فيه الآيات، لا يزال مستمرًّا على بغيه وكفره وعناده[١]".

وكذلك نرى تأويل (ساق) في الآية الثانية، فـ"الكشف عن الساق والإبداء عن الخِدَام[٢]: مَثَل في شدَّة الأمر وصعوبة الخطب، وأصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهنّ في الهرب، وإبداء خِدَامِهِنّ عند ذلك ... فمعنى ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ﴾ في معنى: يوم يشتدُّ الأمر ويتفاقم، ولا كشف ثَمَّ ولا ساق، كما تقول للأقطع الشحيح: يدُه مغلولة، ولا يد ثَمَّ ولا غُلَّ؛ وإنما هو مَثَل في البُخْل [٣]".

"وجمهور المفسرين على أن الكشف عن ساق عبارة عن شدَّة الأمر، وصعوبة الخطب، أي: يوم يشتدُّ الأمر ويصعب، وقيل: ساق الشيء: أصله الذي به قوامه، كساق الشجرة وساق الإنسان، أي: يوم يُكشف عن أصل الأمر، فتظهر حقائق الأمور وأصولها، بحيث تصير عيانًا. وتنكيره للتهويل العظيم. قال النسفي: ولا كشف ثَمَّ ولا ساق، ولكن كنّى به عن شدَّة الأمر؛ لأنهم إذا ابتلوا بالشدَّة كَشفوا عن السَّاق، وقال:

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ٩٠٠، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٢) الخِدَام: جمع خَدَمة، وهي الخَلْخَال. ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: مادة: (خ. د. م)٥/١٩٠٩. ولعل المراد بالخِدام هنا السوق، وسميت بذلك لأنها مواضع الخِدام، أي: الخلاخيل.

(٣) الكشاف ٤/٥٩٨.

كشفت الحرب عن ساقها[١]". وقيل أصله:" أن يموت الولد في بطن الناقة فيدخل المذمر يده في رحمها فيأخذ بساقه فيخرجه ميِّتًا ... فهذا هو الكشف عن السَّاق فجعل لكل أمر فظيع[٢] ".

والتعبير بالمفرد في هذا الباب على حقيقته دون حمله على المثنى أو الجمع يدل دلالة قاطعة على أن كل إنسان مرهون بعمله لا يحاسب بفعل غيره، والساق هي ساق الإنسان المعروفة المعهودة وهي ما بين الرُّكبة والقدم، فهي أداة السير ووسيلته فلاشك في عودتها إلى دلالة الباب الأصلية؛ لأن الماشي ينساق عليها، حتى وإن كان المقصود بها التعبير عن شدَّة الموقف؛ لأن فيه حركة والحركة تستدعي السير.

(١) البحر المديد ١٦٧/٨.

(٢) المفردات في غريب القرآن: مادة (س. و. ق) ٢٤٩/١.

المطلب الثاني : (ساقَيْهَا) بصورة المثنى :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَا ... ﴾ (النمل من الآية ٤٤).

تتجه تلك الآية إلى تصوير حالة من حالات الدنيا فاقت الخيال وإن كانت على أرض الواقع فتأتي بصرح نبي الله سليمان –عليه السلام– الذي أدهش بلقيس ملكة سبأ فحسبته ماء فكشفت عن ساقيها وهو في الحقيقة ممرد من قوارير.

وقد" اختلفوا في السبب الذي كان من أجله أراد سليمان كشف ساقيها لدخول الصرح على ثلاثة أقاويل :

أحدها : لأنه أراد أن يختبر بذلك عقلها.

الثاني : أنه ذُكر له أن ساقها ساق حمار لأن أمَّها جنيَّة فأحبَّ أن يختبرها.

الثالث : لأنه أراد أن يتزوجها فأحبَّ أن يشاهدها[١]" .

وإذا كانت هذه العلَّة فما صورة كشف الساقين في هذا المقام قيل: "وكشف ساقيها كان من أجل أنها شمَّرت ثيابها كراهية ابتلالها بما حسبته ماء. فالكشف عن ساقيها يجوز أن يكون بخلع خفيها أو نعليها، ويجوز أن يكون بتشمير ثوبها. وقد قيل: إنها كانت لا تلبس الخفين[٢]".

إذًا لفظة (ساقيها) لاخلاف في تفسيرها بأنها ساق الإنسان المعروفة المعهودة وهي وسيلة السير، والتعبير بالمثنى عوضًا عن العطف للإيجاز والاختصار والاقتصاد في اللغة جاء على صورته القياسية هنا لم يخرج عنها لإرادة المفرد أو الجمع وهي مثنى ساق؛ لأن لكل إنسان ساقين يسير عليهما، وعندما تحدث حادثة مثل ذلك فالمعهود أن يقوم بكشفهما معًا دون كشف واحدة دون أخرى.

(١) النكت والعيون (تفسير الماوردي)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم٤/٢١٧، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان.

(٢) التحرير والتنوير ١٩/٢٦٩.

المطلب الثالث: السُّوق والأسواق بصورة الجمع

١-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ (ص الآية ٣٣).

٢-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ... ﴾ (الفتح من الآية ٢٩).

٣-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان الآية ٧).

٤-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ ... ﴾(الفرقان من الآية ٢٠).

ورد الجمع في تلك الآيات على صورتين: الصورة الأولى (السُّوق) جمع السَّاق ساق الخيل في الآية الأولى، وساق النبات في الآية الثانية، والصورة الثانية: (الأسواق) جمع سُّوق: معرض البيع والشراء في الآية الثالثة والرابعة.

والآية الأولى تعرض جانبًا من حياة نبي الله سليمان -عليه السلام- لاستلهام الدروس والعبر، وذلك عندما انشغل بعرض الخيل ومنظرها البديع فألهته عن صلاة المساء، فما كان منه إلا أن أمر بردِّها إليه، ثم ما لبث أن عبَّر عن هدفه ومقصوده من هذا الردِّ بقوله تعالى: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ ، وهذا المسح فيه ثلاثة أقوال: "قال بعضهم: إنه ذبحها ذبحًا وتصدق بلحومها، وكان الذبح على ذلك الوجه مباحًا في شريعته. وقال قوم: معناه أنه حبسها في سبيل الله، وكوى سوقها وأعناقها بكي الصدقة. وقال الزهري، وابن كيسان: إنه كان يمسح سوقها وأعناقها بيده، يكشف الغبار عنها حُبًّا لها وشفقة عليها، وهذا قول ضعيف

والمشهور هو الأول[١]" وهو قول" عامَّة المفسرين في قوله﴿ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾، يعني: يضرب سوقها وأعناقها...، وإنما أراد بذلك الاستهانة بمال الدنيا لمكان فريضة الله تعالى[٢]".

فالسُّوق في تلك الآية جمع لساق الخيل، وهي كساق الإنسان يستخدمها للسير عليها، فلا إشكالية في عودتها إلى أصل الباب ودلالته.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ... ﴾ (الفتح من الآية ٢٩). فـ"هذه الآية الكريمة قد بيَّن الله فيها أنه ضرب المثل في الإنجيل للنبي – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه بأنهم كالزَّرع يظهر في أول نباته رقيقًا ضعيفًا متفرقًا، ثم ينبت بعضه حول بعض، ويغلظ ويتكامل حتى يقوى ويشتد وتعجب جودته أصحاب الزراعة، العارفين بها، فكذلك النبي – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه كانوا في أول الإسلام في قلَّة وضعف، ثم لم يزالوا يكثرون ويزدادون قوَّة حتى بلغوا ما بلغوا[٣]".

"وما تضمنته الآية الكريمة من المثل المذكور في الإنجيل المضروب للنبي –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه بأنهم يكونون في مبدأ أمرهم في قلَّة وضعف، ثم بعد ذلك يكثرون ويقوون. جاء موضحًا في آيات من كتاب الله تعالى كقوله: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي

(١) معالم التنزيل (تفسير البغوي)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين ٩٠/٧، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ–١٩٩٧م. وينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) ٥٥/٦، دار الفكر– بيروت– لبنان، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي ١٥٩/٣، ١٦٠، دار الفكر– بيروت.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي٣٩٨/٧، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ– ١٩٩٥ م.

ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ ﴾ (الأنفال من الآية ٢٦). ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ ﴾ (آل عمران من الآية ١٢٣)، وقوله تعالى:﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ﴾(المائدة من الآية ٣)، إلى غير ذلك من الآيات[١]".

فالمراد بقوله:﴿ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾: أي: استوى "على عوده الذي يقوم عليه فيكون ساقًا له. والسُّوق: جمع السَّاق[٢]، "وساق الزرع والشجرة: الأصل الذي تخرج فيه السنبل والأغصان[٣]"، وهو -أيضًا- لم يخرج عن الأصل الدلالي للجذر اللغوي، والتعبير بالجمع يفيد الكثرة، ويوحي بالقوَّة والشدَّة، فيعطي صورة القوَّة والتعاون بين المسلمين التي لن تجدها بالطبع في التعبير بصورة المفرد، فالانعزال هنا والبحث عن الذات لا وجود له.

وكذلك (الأسواق) في الآية الثالثة والرابعة تعود إلى أصل الدلالة من الحثِّ على المسير بغرض البيع والشراء؛ وذلك لما يساق إليها من كل شيء، ففي تلك الآيات تجد الصادِّين عن سبيل الله -عزَّ وجلَّ- والمعرضين عن الحقِّ في حالة حرب دائم ونزاع مستمر مع أهل الإيمان، ليس عن طريق حمل السلاح، وإنما عن طريق توجيه ضربات الإثم والعدوان بكلمات مفتراة وأحاديث كاذبة مختلقة لم تلبث أن تردَّ إلى صدورهم، فهذه فرية افتراها المعرضون من كفار مكَّة على الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم- بأنه يمشي في الأسواق وهذا يتعارض مع مقام النبوَّة؛ وذلك "لاحتياجه إلى البيع والشراء، ليحصل بذلك قوته، يعنون أنه

(١) السابق ٣٩٩/٧.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٥/١٦.
(٣) التحرير والتنوير ١٧٦/٢٦.

لو كان رسولا من عند الله، لكان ملكًا من الملائكة لا يحتاج إلى... المشي في الأسواق[1]".

ولكنهم يعلمون أن هذه فرية لا تثبت أمام دلائل الحق الكثيرة وبراهين الصدق الواضحة، التي تنير الظلام لمن أراد أن يتخذ إلى طريق الحق دليلا، فهم يعلمون ويدركون جيِّدًا أن المشي في الأسواق من طبائع الرسل قبل محمد –صلى الله عليه وسلم–، والمشي في الأسواق " فيه وجهان :

أحدهما: أنهم قالوا ذلك إزراء عليه أنه لما كان مثلهم محتاجًا إلى الطعام

ومتبذلا في الأسواق، لم يجز أن يتميَّز عليهم بالرسالة، ووجب أن يكون مثلهم في الحكم.

الثاني : أنهم قالوا ذلك استزادة له في الحال، كما زاد عليهم في الاختصاص، فكان يجب ألا يحتاج إلى الطعام كالملائكة، ولا يتبذل في الأسواق كالملوك .

ومرادهم في كلا الوجهين فاسد من وجهين :

أحدهما: أنه ليس يوجب اختصاصه بالمنزلة نقله عن موضع الخلقة لأمرين: أحدهما: أن كل جنس قد يتفاضل أهله في المنزلة، ولا يقتضي تمييزهم في الخلقة، كذلك حال من فضل في الرسالة. الثاني: أنه لو نقل عن موضوع الخلقة بتمييزه بالرسالة لصار من غير جنسهم ولما كان رسولا منهم، وذلك مما تنفر منه النفوس.

وأما الوجه الثاني: فهو أن الرسالة لا تقتضي منعه من المشي في

(١) أضواء البيان ١٧/٦.

الأسواق لأمرين: أحدهما: أن هذا من أفعال الجبابرة، وقد صان الله رسوله عن التجبر. الثاني: لحاجته لدعاء أهل الأسواق إلى نبوَّته، ومشاهدة ما هم عليه من منكر يمنع منه ومعروف يقرُّ عليه(١)" .

فقولهم محض افتراء، فمن وجهة نظرهم أنه "لا يجوز أن يمتاز عنَّا بالنبوة، وكانوا يقولون له: لست أنت بمَلَك ولا بملِك؛ لأنك تأكل والمَلَك لا يأكل، ولست بملِك؛ لأن الملِك لا يتسوق، وأنت تتسوق وتتبذل. وما قالوه فاسد؛ لأن أكله الطعام لكونه آدميًا، ومشيه في الأسواق لتواضعه، وكان ذلك صفة له، وشيءٌ من ذلك لا ينافي النبوة(٢)".

"والمعنى: إن صحَّ دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا، وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات، فإن تميُّز الرُّسل عمن عداهم ليس بأمور جسمانية، وإنما هو بأحوال نفسانية كما، أشار إليه تعالى بقوله ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾(فصلت من الآية ٦)(٣)" .

فعندما يعبث الشيطان بعقول بني آدم يجعلهم يقولون كل شيء دون تثبُّت أو فهم، ودون دليل أو مقياس، بل الغرض ردُّ الحق ودفعه بأيِّ صورة من الصُّور، وإن لم يكن فبإثارة الشبهات حوله؛ حتى يقتنع بفكرهم ضعاف العقول.

فهذه "من الآيات التي كذَّبهم الله بها في دعواهم هذه الباطلة، وبيَّن فيها أن الرسل يأكلون ويمشون في الأسواق ويتزوجون ويولد لهم، وأنهم من جملة البشر، إلا أنه فضَّلهم بوحيه ورسالته، وأنه لو أرسل للبشر ملكًا

(١) النكت والعيون ١٣٢/٤،١٣٣.
(٢) تفسير البغوي ٧٣/٦.
(٣) تفسير البيضاوي٢٠٧/٤، دار الفكر –بيروت.

لجعله رجلا، وأنه لو كانت في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزل عليهم ملكًا رسولا؛ لأن المرسل من جنس المرسل إليهم[١]".

فالأسواق بمعنى الأماكن التي يجتمع فيها الناس للبيع والشراء من السهل إعادتها إلى أصل الجذر؛ لأنهم يمشون إليها بأقدامهم أو بوسائلهم الأخرى، ففيها حثٌّ على المسير ودفع إليه.

(١) أضواء البيان ١٨/٦.

المطلب الرابع: سُقْناه بصورة الماضي المبني للمعلوم:

١-قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف الآية ٥٧).

٢-قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ (فاطر الآية ٩).

تبين الآية الأولى حقيقة القدرة الإلهية التي تتحكَّم في كل شيء وتسيره وفق إرادتها، فما تحسبه عظيمًا من أمر هذا الكون هو عند الله يسير، والآية الأخرى تأتي ردًّا على المشركين الذين لم ينتبهوا إلى أن طريق الضلال مختلف تمامًا عن طرق الهداية، فالبون بينهما شاسع وبعيد، إن لم يدركوا حقيقة ذلك في الدنيا ويعودوا إلى رشدهم فلا محالة سيدركونه في الآخرة، فلا تحزن يا محمد لعدم إيمانهم وتتحسَّر على عدم تمييزهم بين الحقِّ والباطل والهدى والضلال، فإن أنكروا هذه الحقائق فيوم القيامة يرون إحياء الموتى شيئًا يسيرًا على الله -سبحانه وتعالى-، كما أن إخراج النبات من الأرض بالمطر عليه -أيضًا- كذلك.

والشاهد في الآيتين: (سُقْنَاهُ، فَسُقْنَاهُ): "وحقيقة السَّوْق أنه تسيير ما يمشي ومسيره وراءه يزجيه ويحثه، وهو هنا مستعار لتسيير السحاب بأسبابه التي جعلها الله، وقد يجعل تمثيلا إذا روعي قوله: ﴿أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾ ، أي: سقناه بتلك الريح إلى بلد، فيكون تمثيلا لحالة دفع الريح السَّحاب بحالة سَوْق السَّائق الدّابة [(١)]".

(١) التحرير والتنوير ٨/١٤٠،١٤١.

فـ"الريح تسوق السحاب من ورائها، فهو سَوْق حقيقة، والضمير في "سقناه" عائد على السحاب، واستند الفعل إلى ضمير اسم الله – تعالى– من حيث هو إنعام، وصفة البلد بالموت استعارة بسبب سعته وجدوبته وتصويح نباته[١]".

وهنا تتجسَّد معالم الرحمة بكل صورها، حيث تأتي" الرياح تحمل السحب الثقال؛ ليسقي الأرض الميتة فتحيا بالزروع والنباتات؛ لتأكلوا وترعوا أنعامكم، وبمثل هذا التدبير في إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها يحييكم بعد موتكم، فيخرجكم من قبوركم أحياء؛ ليحاسبكم على كسبكم في هذه الدار، ويجزيكم به الخير بالخير والشر بمثله جزاء عادلا لا ظلم فيه، وهذا الفعل الدال على القدرة والرحمة ولطف التدبير يُريكموه فترونه بأبصاركم لعلكم به تذكرون أن القادر على إحياء موات الأرض قادر على إحياء موات الأجسام؛ فتؤمنوا بلقاء ربكم، وتوقنوا به، فتعملوا بمقتضى ما يسعدكم ولا يشقيكم فيه[٢]". "وهذا استدلال واضح، فإنه لا فرق بين الأمرين، فمنكر البعث استبعادًا له – مع أنه يرى ما هو نظيره – من باب العناد، وإنكار المحسوسات، وفي هذا الحث على التذكُّر والتفكُّر في آلاء الله والنظر إليها بعين الاعتبار والاستدلال، لا بعين الغفلة والإهمال[٣]".

فـ"بعد فناء العالم ينزل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت الإنسان من عظم يقال له عَجُبُ الذَّنَب فيتم خلقه، ثم يرسل الله –تعالى–

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ٤٨٠/٢، دار الكتب العلمية –لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ–١٩٩٣م. تَصَوَّح النبات: إذا يَبِسَ وانشق. وتَصَوُّحه من يبسه زمان الحر لا من آفة تصيبه. لسان العرب: (ص. و.ح)٣٠٣/٨.

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري ٥٣١/٢، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان٢٩٢.

الأرواح فتدخل كل روح في جسدها فلا تخطيء روح جسدها، وهكذا كما تتم عملية إحياء الأرض بالنبات تتم عملية إحياء الأموات، ويساقون إلى المحشر، ويجزي كل نفس بما كسبت، والله سريع الحساب[١]".

فاستعمل النص القرآني الفعل (سُقْناه) بمعناه الحقيقي، وهو التسيير والدفع بقوة، وهذا هو المعنى الأصلي للجذر اللغوي (س. و. ق)، وفي مجيئ الفعل بصيغة الماضي، وإسناده إلى الله –عز وجل– دلالة على تحقق سَّوق السحاب، فالفعل الماضي هو أقوى الأفعال في أداء صورة الخبر؛ لأنه الأصل؛ فالأخبار في الأصل قد بنيت على الحدث الماضي.

فإذا كان إحياء الأرض بعد موتها بالمطر حقيقة لا مجال فيها إلى الشك أو الإنكار، فكذلك البعث والعودة إلى حياة أخرى، أمر محقق لا شك فيه، فالصورة هي هي والشبه واضح بينهما فكيف تقرِّون بالأولى وتنكرون الأخرى؟!

(١) أيسر التفاسير ٤/١٤٥٦.

المطلب الخامس: نسوق بصورة المضارع المبني للمعلوم

١-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ (مريم الآية ٨٦)

٢-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ (السجدة الآية ٢٧).

في الآية الأولى "لفظ السَّوْق فيه إزعاج وهو إن عدِّي بإلى جهنم تفظيعًا لهم وتبشيعًا لحال مقرِّهم [(١)]" حيث يساق "المجرمون على أنفسهم بالشرك والمعاصي مشاة على أرجلهم عطاشًا يُساقون سوق البهائم إلى جهنم وبئس الورد المورود جهنم[(٢)]". "وهذا أبشع ما يكون من الحالات، سوقهم على وجه الذل والصغار إلى أعظم سجن وأفظع عقوبة، وهو جهنم، في حال ظمئهم ونصبهم، يستغيثون فلا يغاثون، ويدعون فلا يستجاب لهم ، ويستشفعون فلا يشفع لهم، ولهذا قال : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ ﴾ (مريم من الآية ٨٧) أي: ليست الشفاعة ملكهم، ولا لهم منها شيء، وإنما هي لله تعالى[(٣)]".

والآية الثانية تقرر حقيقة أخرى بصورة المضارع سبق وأن أقرَّتها صورة الماضي في المطلب السابق، وهي صورة عودة الحياة بعد الموت كعودة الأرض إلى طبيعتها المثمرة بالنبات بعد نزول المطر عليها، فالماضي يهدف إلى تحقُّقها والمضارع يهدف إلى تجدُّدها، فهي تحدث أمام عينيك الآن، فنزول المطر من السماء على الأرض من أجل الإنبات

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ٢٠٣/٦، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

(٢) أيسر التفاسير ١٠٢١/٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٥٨٣.

صورة تتجدَّد في واقع الحياة، فهي حقيقة ثابتة لا جدال فيها وفي الوقت نفسه كثيرة التكرار ما دامت على الأرض حياة، فالأشكال تختلف والسياقات تتعدَّد ولكنها في النهاية تهدف إلى "تقرير عقيدة البعث والجزاء التي عليها مدار الإصلاح الاجتماعي، فيقول تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴾، أي: أغفل أولئك المكذِّبون بالبعث والحياة الثانية ولم يروا ﴿أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ ﴾: ماء الأمطار أو الأنهار ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾: اليابسة التي ما بها من نبات، فنخرج بذلك الماء الذي سقناه بتدابيرنا الخاصَّة ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ ﴾، وهي إبلهم وأبقارهم وأغنامهم ﴿وَأَنفُسُهُمْ ﴾ فالأنعام تأكل الشعير والذرة وهم يأكلون البر والفول ونحوه ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾، أي: أعموا فلا يبصرون آثار قدرة الله على إحياء الموتى بعد الفناء والبلى كإحياء الأرض الجرز فيؤمنوا بالبعث الآخر وعليه يستقيموا في عقائدهم وكل سلوكهم(١)".

و"الرؤية هنا بصرية، واختير المضارع (نسوق) لاستحضار الصورة العجيبة الدالة على قدرة الله تعالى ولطفه بعباده ورحمته بهم، وسوق الماء هو بسوق السحاب، والسوق هو إزجاء الماشي من ورائه(٢)".

فالله سبحانه وتعالى قادر على إرسال المطر من السماء إلى الأرض من أجل إقامة صرح الحياة الدنيا الذي هو عند الله عظيم ولو شاء لحجبه ولكنه منه تفضلا وتكرُّمًا، وعندما يسوقه إليكم وترونه بأعينكم تنكرون عودة الحياة للبعث والجزاء، أليس هذا كهذا؟! فمن يفعل هذا يفعل ذلك لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، فالدعوة إلى

(١) أيسر التفاسير ١٣٩١/٤.

(٢) نهر الخير على أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ١٣٩١/٤، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

التوحيد أمر ثابت تقرؤونه في كل آية من آيات الله في كونه، وهذا دليل وحجة عليكم يوم القيامة، فهذه المظاهر الكونية رسل من الله لعباده وآيات منه ودلائل وشواهد وحجج وبراهين تدعوهم إلى الإقرار والإيمان به وحده حتى تنقطع حجتهم ويزول عذرهم يوم يقولون ﴿ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ ﴾[1]. وهذا دليل على عدله وحلمه .

فـ (نسوق) في الآية الأولى بعنف وشدَّة لأنها خاصَّة بالمجرمين يُسحبون على وجوههم إلى جهنم فيدفعون من خلفهم، والأخرى (نسوق) – أيضًا– بشدَّة لأنها تدفع السحاب بقوَّة ولكنها تحمل بين طياتها الرحمة واللطف بالعباد؛ لأنها خاصَّة بإنبات الأرض بالمطر، فالأرض أحبُّ إلى خالقها من هذا المخلوق الذي طغى وتجبَّر وتكبَّر، ونسوق في الحالتين فيه حث على المسير الذي يعود إلى أصل دلالة الجذر.

(١) المائدة من الآية ١٩.

المطلب السادس: (سِيقَ ويُسَاقُونَ) بصورة الماضي والمضارع المبني للمجهول:

١-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ... ﴾ (الزمر من الآية ٧١).

٢-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ... ﴾ (الزمر من الآية ٧٣).

٣-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ (الأنفال الآية ٦).

ففي الآية الأولى والثانية عبر عن الذهاب بالذين كفروا إلى جهنم، والذهاب بالذين اتقوا ربهم إلى الجنة بلفظ السوق (وَسِيق)، "فإن قلت: كيف عبَّر عن الذهاب بالفريقين جميعًا بلفظ السوق ؟ قلت : المراد بسَوْق أهل النار: طردهم إليها بالهوان والعنف، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل. والمراد بسَوْق أهل الجنة: سَوْق مراكبهم؛ لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين، وحثها إسراعًا بهم إلى دار الكرامة والرضوان، كما يفعل بمَنْ يشرف ويكرَّم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السوقين [(١)]".

ف" السوق يقتضي الحث على المسير بعنف، وهو الغالب فيه ... ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾: عبر عن الإسراع بهم إلى الجنة مكرمين بالسَّوْق، والمسوق دوابهم؛ لأنهم لا يذهبون إليها إلا راكبين. ولمقابلة قسيمهم ساغ لفظ السَّوْق، إذ لو لم يتقدم لفظ وسيق لعبر بأسرع[(٢)]"

(١) الكشاف ٤/١٥٠. وينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٨٤،٢٨٥.
(٢) البحر المحيط ٧/٤٢٤، ٤٢٥.

"فشتان ما بين السَّوْقين هذا سوق تشريف وإكرام وذاك سوق إهانة وانتقام، وهذا من بدائع أنواع البديع، وهو أن يأتي سبحانه بكلمة في حقِّ الكفَّار فتدل على هوانهم بعقابهم، ويأتي بتلك الكلمة بعينها وهيئتها في حقِّ المؤمنين فتدل على إكرامهم بحسن ثوابهم، فسبحان مَنْ أنزله معجز المباني وتمكن المعاني عذب الموارد والمثاني[1]".

وفي الآية الثالثة تأتي صورة الفعل المضارع بالبناء للمجهول في حالة من يشاهد الموت يتجسَّد أمامه دون أن يراه ولكنه يشعر به فيظن أن الرُّوح ربما لم تقبض ما دام محافظًا عليها دون الدخول في حروب ومعارك، حيث استطاع بذلك أن يعصمها من القتل؛ وذلك لعدم استعدادهم للقتال في تلك المرحلة، مع أن الإحجام عن المعركة لا يقدِّم ولا يؤخِّر في أمر الموت؛ وهذا تفكير غير سديد لأن الموت عندما يأتي لا يفرق بين من يحذره ومن لا يحذره، ففي غزوة بدر ذهب الرسول – صلى الله عليه وسلم– مع نفر من أصحابه لأخذ العير التي خرجت مع أبي سفيان نظير ما تركوا من مال في مكَّة ولكنها نجت بفضل ذكاء أبي سفيان، فلما نجت العير لم يبق إلا النفير، أي: الحرب، ولكن بعضًا من المؤمنين رفضوا فكرة القتال؛ لأنها مقدِّمة للموت وتمهيد له، فظلُّوا في حالة حوار ونقاش عسى أن تتلاشى هذا الفكرة وتتبخَّر ولم يعد لها وجود حفاظًا على حياتهم ونجاة لهم من الموت؛ لأن فكرة القتال عندهم تعني

(١) تفسير السراج المنير، لمحمد بن أحمد الشربيني ٣/٣٧١، دار الكتب العلمية، بيروت.

أنهم ينظرون "إلى الموت عيانًا يشاهدونه أمامهم، وذلك من شدَّة كراهيتهم لقتال لم يستعدوا له، ولم يوطِّنوا أنفسهم لخوض معاركه[١]".

"وتلك الكراهية من قِبل النفس وطبع البشرية، لا من قِبل الإنكار في قلوبهم لأمر الله ورسوله، فإنهم راضون مستسلمون، غير أن الطبع ينزع لحظه، والعبد مأمور بمخالفته وجهاده. وذلك الفريق الذي كره خروجك للقتال ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ ﴾ أي: يخاصمونك في إيثارك الجهاد لإظهار الحق، حيث أرادوا الرجوع للمدينة، وقالوا: إنا لم نخرج لقتال، قالوا ذلك ﴿ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾ لهم أنهم منصورون أينما توجهوا، بإعلام الرسول لهم، لكن الطبع البشري ينزع إلى مواطن السلامة﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾، أي: يكرهون القتال كراهة من يُساق إلى الموت، وهو يشاهد أسبابه، وكان ذلك لقلَّة عددهم وعدم تأهبهم، إذ رُوي أنهم كانوا رجَّالة، وما كان فيهم إلا فارسان ... [٢]".

"فقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ ﴾ تشبيه لحالهم، حين المجادلة في اللحاق بالمشركين، بحال من يجادل ويمانع من يسوقه إلى ذات الموت. وهذا التفسير أليق بالتشبيه لتحصل المخالفة المطلقة بين الحالة المشبهة والحالة المشبه بها، وإلا فإن أمرهم بقتال العدو الكثير العَدد، وهم في قلَّة، إرْجاء بهم إلى الموت إلا أنه موت مظنون، وبهذا التفسير يظهر حسن موقع جملة: (وهم ينظرون). أما المفسرون فتأوَّلوا

(١) أيسر التفاسير ٢/٥٩٠.
(٢) البحر المديد ٣/٧،٨.

الموت في الآية بأنه الموت المتيقن فيكون التخالف بين المشبه والمشبه به تخالفًا بالتقييد وجملة: ﴿ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ حال من ضمير ﴿يُسَاقُونَ ﴾ ومفعول ﴿يَنظُرُونَ ﴾ محذوف دل عليه قوله : ﴿ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ ﴾ أي : وهم ينظرون الموتَ؛ لأن حالة الخوف من الشيء المخوف إذا كان منظورًا إليه تكون أشد منها لو كان يعلم أنه يساق إليه ولا يَراه؛ لأن للحسِّ من التأثير على الإدراك ما ليس لمجرد التعقل[1]".

"والسَّوْق: أن يجعل الماشي ماشيًا آخر يسير أمامه ويلازمه، وضدُّه القَود، والسوْق مشعر بالإزعاج والإهانة، قال تعالى:﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ ﴾ [2]".

إذًا فـ(سيق) عندما وردت بصورة الفعل الماضي المبني للمجهول في الآية الأولى والثانية فهي تحمل طابع الحثِّ على المسير ولكنه في حقِّ الكافرين بعنف وشدَّة وقسوة وإذلال وإهانة، وفي حق المتقين لين ورأفة ورحمة وتكريم ومهابة، وأما ورودها بصورة الفعل المضارع المبني للمجهول في الآية الثالثة ففيها قوَّة وشدَّة؛ وكأن من لم يرغب في القتال مع المؤمنين ويضعف أمامه يُساق إلى الموت، فهو لا يتحمل مخاطره مهما بلغت قوته وشجاعته.

(١) التحرير والتنوير ٩/٢٦،٢٧.
(٢) التحرير والتنوير ٢٤/١٣٥.

المطلب السابع: سائق بصورة اسم الفاعل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (ق الآية ٢١).

يمرُّ كل إنسان في حياته بمواقف صعبة، يُخيَّل إليه وقتها أن الجبال تنوء عن حملها نظرًا لقوتها وإحساسه بضعفه، وعندما تنتهي أزمته ينطق بالشهادة أن أعاد الله –عزَّ وجلَّ– إليه الحياة بعد أن كاد على وشك أن يفقدها، ولكن بالرغم من شدَّتها وصعوبة تحمُّلها إلا أنه لا وجه للمقارنة بينها وبين الموقف العظيم الذي عبَّر عنه الحقُّ – سبحانه وتعالى– بالآية السابقة.

ترى في الآية لفظة (سائق) والتعبير بصيغة اسم الفاعل الذي يدل على أن حدث السوق موجود لا محالة وتنوينه دلالة على حدوثه في المستقبل، إضافة إلى مَنْ اتصف به؛ فهو يأتي للدلالة على الحدث ومَنْ قام به، وهذا ما يتضح من خلال السياق الذي وردت فيه اللفظة الذي يؤكد على أن التعبير به يفيد ذلك، فهذه الحالة تحدث يوم القيامة، فمَنْ يسوق النفس إلى مثواها الأخير في الجنَّة أو النار لن يتحقق إلا في هذا اليوم ، فالسائق " أي ملك يسوقها إلى المحشر[1]" .

"وهو الذي ساقها في مبدأ الوجود، إما سوقًا باللطف، أو سوقًا بالعنف عند قوله: "هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار

(١) أيسر التفاسير ١٧٥٨/٥. وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد الغرناطي ٦٤/٤، دار الكتاب العربي – لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م، والكشف والبيان للثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ٩ / ١٠٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م، والبحر المديد ٢٧١/٧، ولباب التأويل في معاني التنزيل٢٣٦/٦.

ولا أبالي[١]".

وقيل: "السائق هو المتلقي يتلقى أخذ روحه من ملك الموت فيسوقه إلى منزله وقت الإعادة ، وهذا أعرف الوجهين وأقربهما إلى الفهم... والسائق لازم للبرِّ والفاجر، أما البرُّ فيساق إلى الجنَّة، وأما الفاجر فإلى النَّار. وقال تعالى ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾[٢]".

وقيل: "أما السائق ففيه قولان: أحدهما: أنه ملك يسوقه إلى المحشر، قاله أبو هريرة وابن زيد. الثاني: أنه أمر من الله يسوقه إلى موضع الحساب، قاله الضحاك[٣]"، "وقال ابن مسلم: السائق قرينها من الشياطين سمي سائقًا لأنه يتبعها وإن لم يحثها[٤]".

وعلى كل فالسَّائق هو مَنْ " يسوقها إلى موقف القيامة، فلا يمكنها أن تتأخر عنه[٥]".

إذًا فالحدث ومَنْ يتصف به سمة اسم الفاعل الذي أخرج تلك الصورة الغيبية كأنها واقع حيٌّ تشهده الآن، فاسم الفاعل بين الاسمية والفعلية؛ وذلك لأنه لايقبل علامات الفعل حتى يكون فعلا، وما كان فيه من علامات الاسم فهي لأهداف والعلامة في هذا المثال هي التنوين

(١) البحر المديد ٢٧٣/٧، وينظر الحديث في مسند الشاميين، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ٢٦١/٣، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٤٢/٢٨، دار الكتب العلمية -بيروت،الطبعة الأولى١٤٢١هـ-٢٠٠٠م. وينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض ٢٨/١٨، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٣) النكت والعيون ٣٤٨/٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٧.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٨٠٥.

التي ذهبت به إلى دلالة المستقبل الذي يدل على الحدوث والتجدُّد، وفي الوقت نفسه يدل على الثبوت والدوام والاستمرار لتأكيد وقوعه؛ لأنه في حقِّ الله سبحانه وتعالى، فالأصل في دلالته الحدوث والتجدُّد ومن خلال السياق يمكن أن يفيد الثبوت، ودلالته على الحدوث تميِّزه عن الصفة المشبهة التي تفيد الثبوت، والثبوت فيه نسبي لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة، ودلالته على الثبوت تميِّزه عن الفعل المضارع الذي يدل على التجدُّد والحدوث، فالسائق إذًا مَنْ يتحكَّم في مسألة السير؛ لأنه هو الذي يتولَّى قيادة الموقف.

المطلب الثامن: المساق بصورة المصدر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾ (القيامة الآية ٣٠).

زعم بعض الناس أن الدنيا بمجرد أن تغلق أبوابها وتطوى صحائفها وينتهي تعلق الإنسان بها تنتهي علاقته بكل شيء، وأن البعث وإعادة الأرواح مرَّة أخرى وهمٌ وخيال؛ وذلك لانطلاق شهواتهم دون حدود أوقيود، ولكنهم كذبوا على أنفسهم وعلى غيرهم وضلَّوا أنفسهم وأضلوا غيرهم؛ لأن الحقيقة خلاف ذلك، فالعودة والرجوع إلى الخالق العظيم – سبحانه وتعالى– واقع تراه عندما يأتي يوم القيامة وترى الملائكة يأخذون بيديك إلى الحساب والجزاء إما إلى جنَّة إن كنت مؤمنًا بالبعث والحساب والجزاء ومصدِّقًا وموقنًا بما أنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم–، أو إلى نار إن كنت خارجًا عن دائرة الإيمان ومنكرًا لما بعد الموت، والتعبير في هذه الصورة بـ(المساق) وهو مصدر، أو ما يسمى بالمصدر الميمي على رأي بعض العلماء على وزن مَفْعَل، وكلاهما ينطبق عليه الدلالة على حدث غير مقترن بزمان، مع دلالة المصدر الميمي على القوَّة والتأكيد، فهو أشدُّ قوَّة من السَّوْق، يستمدُّ هذا الحدث ووقوعه لا محالة من إسناده (إلى ربك) الذي ما إن سمعته تخرج بقلبك وعقلك من دائرة التكذيب التي هيمنت عليك إلى دائرة الصدق والحقِّ والواقع الذي أصبح الآن لا مفرَّ من الاعتراف والإقرار به في هذا اليوم الذي توضحه دلالة الآية.

فـ"إلى ربك"، أي: إلى خالقك "يومئذ"، أي: يوم القيامة "المساق"، أي: المرجع. وفي بعض التفاسير قال: يسوقه ملكه الذي كان يحفظ عليه السيئات.

والمساق: المصدر من ساق يسوق، كالمقال من قال يقول[١]".

وقيل: "{المساق}: مصدر ميمي لـ "ساق"، وهو تسيير ماش أمام مسيره إلى حيث يريد مسيره، وضده القود، وهو هنا مجاز مستعمل في معنى الإحضار والإيصال إلى حيث يلقى جزاء ربه[٢]".

وعلى ذلك فالمساق فيه وجهان: المنطلق أو المستقر[٣].

فيوم القيامة آت لا محالة صدَّقت بذلك أم كذَّبت، أيقنت أم لم توقن، والأحداث تجري وفق مراد الله لها لن تتوقف، فالسماء تمنحك الأدلة والأرض تعطيك الشواهد وكل يوم بل كل لحظة تجد فيها البراهين التي تدفعك إلى الإيمان واليقين باقتراب هذا اليوم، تلحظ ذلك جيدًا حالة الاحتضار وفي حالة التقاط الأنفاس الأخيرة التي إن خرجت لن تعود وإن عادت فهذا بلا شك يوم يبعثون، والتأكيد على وقوع هذا اليوم جعل التعبير بالمصدر أو المصدر الميمي حقيقة وإثبات وليس أضغاث أحلام، فالمسير أصل دلالة الجذر، وهو هنا خاصٌّ بالمسير إليه سبحانه وتعالى.

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١٣/١٩.

(٢) التحرير والتنوير ٣٣٤/٢٩. وينظر: البحر المحيط ٢٩٤/٨.

(٣) ينظر: النكت والعيون ١٥٨/٦.

الخاتمة

بعد عرض التفاصيل الخاصَّة بـ(ألفاظ الجذر (س و ق) ودلالتها في النص القرآني) وتتبع أقوال كثير من أهل اللغة والمفسرين أجد أن البحث العلمي يعطي من يعطيه من جهده ووقته وأن التسليم بالنتائج دون الدراسة فيه تقصير وضعف ، وعرض خلاصة ما كتبت ونتائج ما سطَّرت يحتاج إلى دقَّة وضبط ؛ وذلك بإعادة قراءة مفردات البحث مرَّة أخرى لهذا الغرض ، ونتيجة لذلك أقول ما فصَّله البحث يمكن إيجازه وتقديم خلاصة نتائجه على النحو الآتي:

١- مادة (س. و. ق) تعود إلى أصل واحد كما ذكر ابن فارس في مقاييسه وهو حَدْو الشيء أي الحث على المسير ، وما ذكره مؤلفو كتب الوجوه والنظائر والمفسرون من وجوه أخرى فهي صحيحة ولكن يمكن أن تعود في حقيقتها إلى هذا الأصل.

٢- وردت ألفاظ الجذر (س و ق) في القرآن الكريم في ستة عشر موضعًا مع تكرار الساق في موضع واحد فيصبح المجموع سبعة عشر، ما بين (الساق) بصورة المفرد و(ساقيها) بصورة المثنى و(السُّوق) و(الأسواق) بصورة الجمع و(سقناه) بصورة الماضي المبني للمعلوم و(نسوق) بصورة المضارع المبني للمعلوم و(سيق) و(يساقون) بصورة الماضي والمضارع المبني للمجهول و(سائق) بصورة اسم الفاعل و(المساق) بصورة المصدر.

٣-التعبير بالأسماء فيه دلالة على ثبوت الفعل ودوامه ولزومه ، والتعبير بالمفرد في المطلب الأول قد يقصد منه السَّاق المعروفة أو أنه مجاز عن شدَّة الأمر ، وهذا هو الراجح ، وفي كليهما دلالة على العودة

للآخرة وحيدًا ، والسَّاق هي أداة السير إن كانت الدلالة أصلية ، وإن حملت على المجاز فالشِّدَّة فيها حركة والحركة تستدعي السير.

٤- (ساقيها) بصورة المثني في حق بلقيس ملكة سبأ لاشك أنها ساق القدم المعروفة لم تحمل على دلالة أخرى.

٥-التعبير بالجمع يفيد الكثرة كما هي عادة هذا الباب سواء أكانت الإشارة إلى سُوق الخيل التي كسوق الإنسان يستخدمها للسير والتنقل عليها، أوساق النبات إلى عودته ما بين الأصل إلى متشعب الفروع والأغصان ، أو أسواق البيع والشراء التي يمشون إليها.

٦- الفعل الماضي أقوى الأفعال في أداء صورة الخبر لأنه الأصل ، والتعبير به فيه دلالة على تحقُّقه وثبوته ، وإن ظهر بدلالة المستقبل فهو دلالة على تجدُّده وحدوثه ، فالأفعال المرئية تكون بنسبة أكبر أكثر تأثيرًا من الأحداث المسموعة ، وإرسال الرياح التي تسوق السحاب فتدفعه بقوة لطفًا ورحمة منه سبحانه وتعالى.

٧-اختيار التعبير بالمضارع فيه دلالة على تجسيد الصورة في الواقع ، والموقف يختلف في قوَّته وشدَّته بين سَوْق المجرمين إلى جهنم وسحبهم على وجوههم ، وسَوْق الرياح التي تسوق السحاب التي تحمل في طياتها رأفة الله بخلقه.

٨-تتحد صورة الماضي المبني للمجهول في (وسيق) ولكن سوق الكافرين إلى النار بعنف وشدَّة ودفع من الخلف وسحب على الوجوه وكأنها يد تدفع بقسوة وهذا هو الغالب في هذا الباب ، وسَوْق المتقين إلى الجنة فيه يسر ورحمة وكأنها يد تحنو وتعطف ، والسوق متجه إلى دوابهم لأنهم لا يذهبون إليها إلا راكبين ، ثم تأتي صورة المضارع المبني

للمجهول (يساقون) للتعبير عن حالة مَنْ يشاهد الموت أمامه فيضعف عن القتال.

٩-التنوين في اسم الفاعل في (سائق) يعطي دلالة المستقبل الذي يدل على الحدوث والتجدد ، وفي الوقت نفسه يدل على الثبوت والدوام والاستمرار لتأكيد وقوعه ؛ لأنه في حقِّ الله سبحانه تعالى.

١٠-التعبير بالمصدر في (المساق) أو المصدر الميمي فيه دلالة على وقوع الحدث وإثباته وإن كان المصدر الميمي أقوى تأثيرًا وتأكيدًا.

١١-كل لفظ من ألفاظ الجذر (س. و. ق) له سياقه المستعمل فيه وله ظروفه وملابساته الخاصة به لا يمكن بحال من الأحوال استبدال لفظة فيه بأخرى.

١٢-لا ترتبط بصورة الفعل الظاهرة دون الرجوع إلى دلالة السياق فقد يذهب بك السياق إلى دلالة أخرى ، كما في الفعل (نسوق) بصورة المضارع التي تذهب دلالته إلى الماضي والهدف أن تجعل الماضي مشاهدًا مرئيًا الآن.

وبعد ، فالبحث فكرة والفكرة تحتاج إلى دراسة ، وهدف الدراسة الوصول إلى نتائج ، وما توصلت إليه من نتائج ليس أمرا حتميًّا يرى اللزوم بل هو أمر اجتهادي يرى النقد ثراء للعمل وإضافة إليه ، أدعو الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد والرضا وحسن المآب إنه ولي ذلك والقادر عليه

فهرس المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي – دار الفكر – بيروت– لبنان١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. أبو بكر الجزائري – المكتبة العصرية–صيدا – بيروت.

(٣) بحر العلوم للسمرقندي. تحقيق.محمود مطرحي– دار الفكر– بيروت.

(٤) البحر المديد لابن عجيبة – دار الكتب العلمية– بيروت– الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م.

(٥) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري. تحقيق.أحمد عبد الغفور عطار– دار العلم للملايين.

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور– مؤسسة التاريخ العربي– بيروت – لبنان–الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل. محمد بن أحمد الغرناطي – دار الكتاب العربي – لبنان الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

(٨) تفسير البيضاوي– دار الفكر –بيروت.

(٩) تفسير السراج المنير. محمد بن أحمد الشربيني – دار الكتب العلمية – بيروت.

(١٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي.المحقق.عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(١١) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) . المحقق.هشام سمير البخاري –دار عالم الكتب – الرياض– المملكة العربية السعودية– ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م.

(١٢) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للدامغاني.حققه.عبد العزيز سيد الأهل – دار العلم للملايين – الطبعة الرابعة ١٩٨٣م.

(١٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري.تحقيق. عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث العربي– بيروت.

(١٤) الكشف والبيان للثعلبي. تحقيق.الإمام أبي محمد بن عاشور– دار إحياء التراث العربي– بيروت لبنان–الطبعة الأولى١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م.

(١٥) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) – دار الفكر– بيروت–لبنان–١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.

(١٦) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل.تحقيق الشيخ.عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض–دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان– الطبعة الأولى ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

(١٧) لسان العرب لابن منظور – دار صادر– بيروت– الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م.

(١٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية. تحقيق.عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية – لبنان– الطبعة الأولى ١٤١٣هـ–١٩٩٣م.

(١٩) مسند الشاميين لأبي القاسم الطبراني.تحقيق.حمدي بن عبد المجيد السلفي ٢٦١/٣- مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

(٢٠) معالم التنزيل (تفسير البغوي) . تحقيق. محمد عبد الله النمر وآخرين – دار طيبة للنشر والتوزيع – الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٢١) المعجم الوسيط.مجمع اللغة العربية- مكتبة الشروق الدولية- الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٢٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي – دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة الأولى١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٢٣) المفردات في غريب القرآن . الراغب الأصفهاني.تحقيق.محمد سيد كيلاني-دار المعرفة – لبنان.

(٢٤) مقاييس اللغة لابن فارس.تحقيق.عبد السلام محمد هارون- دار الجيل -بيروت- الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٢٥) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي . تحقيق . محمد عبد الكريم كاظم الراضي ٣٤٠- مؤسسة الرسالة- لبنان-بيروت -الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(٢٦) النكت والعيون (تفسير الماوردي)-تحقيق.السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم – دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان.

(٢٧) نهر الخير على أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ١٣٩١/٤- المكتبة العصرية- صيدا – بيروت.